

مولود فرعون والثورة الجزائرية من خلال كتابه LE JOURNAL

Mouloud Feraoun and the Algerian Revolution
Through His Book 'The Diary'ليلى تيتة¹*¹كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر (باتنة) (الجزائر)، leila.tita@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2019/11/11

تاريخ الإرسال: 2017/12/30

الملخص:	الكلمات المفتاحية:
يتطرق هذا المقال إلى دراسة كتاب "LE JOURNAL" للكاتب الجزائري مولود فرعون، المؤلف الذي لم يُنشر إلا بعد وفاته، وبعد استقلال الجزائر في 05 جويلية 1962م، دراسة كرونولوجية لأحداثه المتقطعة من خلال التعرض لأهم الأفكار الواردة فيه، وقد جاءت الدراسة تاريخية بعيدا عن الدراسة الأدبية، بغية الكشف عن موقف الكاتب من الثورة التحريرية وتطوراتها، ومحاولة مقارنتها بما ورد في مؤلفاته الأخرى، وتقنين ما انتشر عنه وعن أفكاره.	مولود فرعون؛ الثورة الجزائرية؛ الأدب؛ الموقف؛ اليوميات؛

ABSTRACT:**Keywords:**Mouloud Feraoun,
Algerian
Revolution,
Literature,
position,
Diary,

This article discusses a well-known Algerian literary figure which is that of Mouloud Feraoun, who was assassinated, the day the ceasefire was announced, by the Organization of Secret Army (OAS). This article deals with a book that was published only after his death and after Algeria gained its independence on July 05, 1962, where the clear position of this writer on the liberation revolution and its developments appears, and this is the position which denies what was spread about him and his ideas. Perhaps the main problem posed should be: What was the position of Feraoun from the Liberation Revolution. Studying the writer's book a chronological study for its events seems difficult because the events are cut, in addition to its different parts mentioned in the book. For this, we tried study the book from a historical perspective, far from the literary study, by dealing with the most important ideas mentioned in the book and which concern the Liberation Revolution. This is done by comparing the ideas with what was mentioned in his other books. For this reason, the study was not an artistic one with the absence of the artistic style, the artistic language and the artistic place, since the speciality of the research is far from this field.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

مولود فرعون كاتب وروائي جزائري أغتيل في 15 مارس 1962 على يد منظمة الجيش السري "OAS". بعد اغتياله، تحدثت وسائل الإعلام الفرنسية عن رحيل "صديق فرنسا"، وعلى أنه نموذج "للاندماجي المثالي والناجح"، وربما السبب في ذلك يعود بالأساس إلى ثقافته التي تبدو فرنسية أو لكون مسألة الثورة الجزائرية حتى لتاريخ وفاته قد ظلت غائبة عن أعماله، فهل معنى هذا أن مولود فرعون لم يكن صاحب ميول وطنية؟ ولماذا اغتالته منظمة الجيش السري لو لم يكن وطنيا؟

للإجابة عن هذا السؤال سنهتم بدراسة مؤلفه "اليوميات" Le Journal الذي نشر بعد وفاته والذي سيقدم لنا إيضاحات بشأن فكره وعلاقته بالثورة التحريرية. والحقيقة أن "اليوميات" عبارة عن يوميات شرع مولود فرعون في كتابها على كراسة مدرسية في نوفمبر 1955؛ أي سنة بعد اندلاع الثورة، وتوقف عنها في جويلية 1959 ثم عاد إلى كتابتها في جانفي 1960 إلى تاريخ وفاته "استشهاده" في مارس 1962. بعد وفاته، نشرت هذه اليوميات لتكشف الكثير عن مواقف مولود فرعون المناصرة للاستقلال. فماذا عن مولود فرعون من خلال "اليوميات"؟ هل هو فعلا صديق فرنسا الكولونيالية؟ أم كانت له ميولات وطنية؟

1- مولد ونشأة مولود فرعون:

ولد الكاتب الجزائري مولود فرعون في 8 مارس 1913 في قرية تيزي هيبل بولاية تيزي وزو بالجزائر وفق ما هو وارد في سجلات الحالة المدنية، لكن التاريخ الحقيقي لولادته هو شهر فيفري 1913. اللقب الحقيقي لمولود هو آيت شعبان، أما فرعون فهو اللقب الذي منحه له مصالح الشؤون الأهلية عقب القضاء على ثورة المقراني في 1871¹.

ينتمي مولود فرعون إلى عائلة فقيرة تكونت في البداية من ثمانية أبناء لم يبق منهم على قيد الحياة سوى خمسة كان مولود ثالثهم وأول الصبية. بسبب فقر هذه العائلة، اضطر الأب إلى الهجرة مرات عدة بين 1910 و 1928 إلى فرنسا بحثا عن العمل ليسد رمق عائلته الكبيرة كما أشار إلى ذلك الكاتب في روايته التي تمثل سيرته الذاتية المعنونة بـ "نجل الفقير" Le Fils du pauvre².

في المرحلة الثانية من عمره، التحق مولود فرعون بالمدرسة الابتدائية في قرية تاوريرت موسى المجاورة، فكان يقطع مسافة طويلة يوميا بين منزله ومدرسته سعيا على قدميه في ظروف صعبة. تحدى المصاعب المختلفة والظروف القاسية بمثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه القائم الراخ تحت نير الاستعمار الفرنسي، وبهذا الصراع استطاع التغلب على كل المثبطات والحواجز مما أهله للظفر بمنحة دراسية للثانوي بالثانوية الوحيدة بتيزي وزو آنذاك أين ازداد اهتماما بدراسته؛ حيث نجح في الأخير في مسابقة الالتحاق بمدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة في 1932 وعمره 19 سنة والتي علق آمالا كبيرة عليها، ضامنا بذلك مستقبله المهني والاجتماعي³.

نشير إلى أن حصوله على منحة التمدرس والتحاقه بالمدرسة المذكورة أعلاه قد جعله يحتك بزملائه وأصدقائه من أمثال إيمانويل روبلاس Emmanuel ROBLES صديق ألبير كامي Albert CAMUS ويطالع الكثير وينهل من روائع الأدب العالمي ويتشبع بمبادئ مدرسة جول فيري Jules FERRY يستكمل تكوينه الأيديولوجي ويتقن اللغة الفرنسية⁴.

بعد تخرجه، عاد مولود فرعون إلى قريته تيزي هيل التي تزوج بها من ابنة عمه "ذهبية" التي أنجبت له سبعة أبناء، واندفع كذلك للعمل فاشتغل بالتعليم حيث عين فيها مدرسا سنة 1935 في الوقت الذي بدأ يتسع فيه عالمه الفكري وأخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه، وكما أعطى من علمه لأطفال قريته، أعطى مثيلا له في القرية التي احتضنته تلميذا قرب مسقط رأسه بأقل من ثلاثة كيلومترات وهي قرية تاويرت موسى التي التحق بها معلما سنة 1946 في المدرسة نفسها التي استقبلته تلميذا⁵. وصف نفسه في إحدى رسائله لصديقه ألبير كامي بصاحب "الإمتياز" بدليل أنه تمكن من نشر روايته الأولى "نجل الفقير" سنة 1950 على حسابه الخاص، فتحصل على جائزة مدينة الجزائر للرواية في الوقت الذي لم يظفر فيها أي شخص غير أوروبي بهذه الجائزة من قبل⁶.

في المرحلة الثالثة من حياته وهي مرحلة الخمسينيات من القرن العشرين، وبعد سنتين من نشر روايته "نجل الفقير"، انتقل مولود فرعون إلى (فور ناسيونال) أي "الأربعاء ناث إيراثن" لكي يشغل منصب مدير مدرسة. كما انتخب في السنة ذاتها مستشارا بلديا، ونشر ثلاث روايات: الأرض والدم La Terre et le Sang سنة 1953، أيام في بلاد القبائل Jours de Kabylie سنة 1954 والدروب الوعة Les Chemins qui montent سنة 1957. بحلول سنة 1957، حول مولود فرعون إلى الجزائر العاصمة ليعين مديرا لمدرسة "نادور" في المدينة حاليا، كما عين في سنة 1960 مفتشا بالمراكز الاجتماعية التربوية Centres socio-éducatifs بالأبيار وهي المراكز التي كانت قد أنشأتها السلطات الإستعمارية الفرنسية في 27 أكتوبر 1955 بقرار من الحاكم العام للجزائر جاك سوستال Jacques SOUSTELLE وبإيعاز من الأخصائية الاجتماعية والمتخصصة في دراسة الأنثروبولوجيا والإثنيات جيرمان تيون Germaine TILLION. هدف هذه المراكز كان محو الأمية، وتقديم المساعدات الاجتماعية والطبية للعائلات المعوزة⁷، وهي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل فيها قبل أن يسقط برصاص منظمة الجيش السري في 15 مارس 1962 أياما قلائل قبل إعلان وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا. تمت عملية الإغتيال في وضوح النهار وسقط إلى جانبه خمسة أشخاص من العاملين بهذه المراكز بعد أن تم اقتيادهم جميعا من غرفة الاجتماعات وأمرهم بوضع أيديهم تجاه الحائط، وبعدها انطلقت آلة الموت تحصد الأرواح البريئة وهم: علي حموتان Ali HAMMOUTENE وصالح ولد عودية Salah OULD AOUDIA ومارسال باسي Marcel BASSET وروبير إيمار Robert AIMAR وماكس مارشان Max MARCHAND⁸.

2- موقف مولود فرعون من الثورة التحريرية من خلال مؤلفاته المنشورة قبل 1962:

مولود فرعون أديب يمثل أحد الأركان الأساسية المؤسسة لفن الرواية الجزائرية المعاصرة مع كتاب آخرين منهم من كان يكتب مثله باللغة الفرنسية من أمثال كاتب ياسين، محمد ديب، مالك حداد، ومنهم من كان يكتب باللغة

العربية من أمثال أحمد رضا حوحو وعبد الحميد بن هدوقة. له عدة روايات كتبها بالفرنسية منها رائعته الذائعة الصيت رواية "نجل الفقير" التي بدأ كتابتها أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 وانتهى منها سنة 1948 ونشرت عام 1950 وكذلك رواية "الأرض والدم" سنة 1953، ورواية "أيام في بلاد القبائل" سنة 1954، ورواية "الدروب الوعرة" سنة 1957، "قصائد سي محند" Les Poèmes de Si Mohand سنة 1960، في حين تم إصدار مؤلفات بعد وفاته وهي "اليوميات" Journal 1955-1962 الصادرة في 1962، و"رسائل لأصدقائه" Lettres à ses amis الصادرة سنة 1969، و"عيد الميلاد" L'Anniversaire الصادرة سنة 1972، و"مدينة الورود" La Cité des roses الصادرة سنة 2007. وقد ترجمت أعماله إلى عدة لغات منها العربية والألمانية والإنجليزية والروسية⁹.

حول استخدام مولود فرعون اللغة الفرنسية لغة لكتبه، يمكن القول أن مولود فرعون ليس من أولئك الذين اعتقدوا بأن اللغة الفرنسية هي حتما لغة الإستعباد والإستعمار الثقافي، بل رأى فيها اللغة التي سمحت له بفهم الآخر وتفسير نفسه وقول اشتمزازه وقرفه لأكثر عدد ممكن من المتلقين وبالتالي بلوغ أرضية الآخر بواسطة هذا السلاح المشترك الذي وصفه كاتب ياسين (بغنيمة حرب). لقد قال مولود فرعون عن ذلك: اللغة الفرنسية هي اللغة التي تمكني من الحوار مع الآخر والرد عليه. لقد كتبت بالفرنسية لأنني لم أجد في كتب أصدقائي حديث عن الجزائريين (الاهالي)¹⁰.

في روايته الشهيرة "ابن الفقير" يقدم لنا الأديب صورة كاملة عن المجتمع القبائلي الأمازيغي في الثلاثينات من القرن الماضي، وبذلك نكتشف المجتمع الجزائري العميق من خلال شخصيات عائلية يتوزع فيها العم والأخ والجدة والأخوات أدوارا اجتماعية ومواقف فكرية وتصورية عن الحياة والوجود والعائلة والشرف وكل ما يرمز القيمة الفطرية للإنسان الفضائل والخير، حتى أن هؤلاء الفقراء لا أحد منهم يقول أنه فقير أو يستشعر الفقر في ذاته لأنه مملوء بكل ما ترمز له الشهامة والفخر والإحساس بالرضى حتى وإن كانت الأوضاع مزرية حقيقة، ويدل كل ركن فيها على أنواع من الفقر المركب بعضه على بعض¹¹.

لقد صرح مولود فرعون في لقاء مع إحدى الجرائد عام 1953 قائلا: "كتبت رواية نجل الفقير إبان الحرب على ضوء شحنة ووضعت فيها قطعة من ذاتي... أنا متعلق بشكل كبير بهذا الكتاب، أولا لأنني لم أكن أكل كل يوم رغم الجوع في حين كان الكتاب يولد من قلبي وثانيا لأنني بدأت أتعرف على قدراتي"¹². وليس ذلك غريبا فعندما سأله موريس مونوي Maurice MONORY ما هو موقفك من الشخصيات التي تكتب عنها قال بكل عفوية: "أضع نفسي بكل صدق مكان تلك الشخصيات، وحينئذ تبدأ هذه الشخصيات تحدثني عما يجب علي كتابته. ليس هناك مجال لتقمص شخصيات والكتابة عنها دون أن يكون جزء من تلك الشخصية رابض هناك بعيدا في أغوار النفس"¹³.

في رواية "الدروب الوعرة" كشف مولود فرعون - من خلال قصة حب - صدام ثقافتين: الثقافة التقليدية للقرية الجزائرية وثقافة المهاجر، واستعان بشخصية نسائية فرنسية لنقد سلطة الاستعمار. وفي رواية "الأرض والدم" قارب موضوع المنفى بصعوباته ونتائجه على شخصية المنفي، كما تناول موضوعي الهوية والشرف. وفي كتاب "أيام

في بلاد القبائل "صوّر بأمانة مؤثرة وطرافة مشاهد من الحياة اليومية في القرى الأمازيغية. وفي البحث الذي يحمل عنوان "أشعار سي محمد"، عمد فرعون إلى ترجمة عدد كبير من قصائد الشاعر الأمازيغي سي محمد، وإلى استخلاص المراحل الرئيسية لحياته، ومن خلال ذلك قدم شهادة إضافية على مقاومة الشعب الأمازيغي للاستعمار الفرنسي بواسطة الشعر التقليدي. وفي ديوان "رسائل لأصدقائه" نقرأ جزءاً مهماً من مراسلاته مع أساتذة وأدباء وناشرين مثل إيمانويل روبلاس Emmanuel ROBLES وألبير كامي Albert CAMUS، و قد رصد في رواية "مدينة الورود" التي لم يتمكن من إنجازها معركة الجزائر العاصمة وجعل منها استعارة لاستحالة التعايش بين الجزائريين والفرنسيين في الجزائر¹⁴.

ما ميز الإنتاجات الأولى لمولود فرعون قبل وفاته هو أنه قد كان أقل ميلاً للنقد مقارنة بكل من محمد ديب وكاتب ياسين. ففي رواية "الدار الكبيرة"، يعتبر ديب المدرسة الفرنسية بمثابة مكان مرفوض لا يمكن أن يثق فيه، وكذلك الحال بالنسبة لكاتب ياسين الذي طرد من المدرسة بسبب مشاركته في أحداث 8 ماي 1945، أما الطفل منراد فورولو، بطل رواية "نجل الفقير"، فقد حقق كل نجاحاته بفضل هذه المدرسة، التي يدين لها بكل شيء. بعد رواية "نجل الفقير"، التي استغرقت فترة كتابتها ثمانية عشرة عاماً، نشر فرعون رواية "الأرض والدم"، ثم رواية "الدروب الوعرة"، وتناول كلا العاملين مسائل متعلقة بصعوبة تحقيق التواصل بين ثقافتين مختلفتين، عبر استحالة التواصل بين شخصيات من ديانات مختلفة. وظلت مسألة الثورة غائبة عن أعماله، حتى وهو ينشر "الدروب الوعرة" سنة 1957، بينما تنبأت رواية "الحريق" لمحمد ديب بذلك، وأصبح بطل "نجمة" لكاتب ياسين إنساناً خارج المنظومة الاستعمارية يسير نحو الإيمان بالثورة. لكن لا يجب أن نقرأ كلا الروايتين دون فك رموزها، فالتعايش المستحيل لا يمكن أن يفهم إلا كنوع من التحوّل وبداية التخلي عن الأفكار التي غرستها فيه الجمهورية الثالثة، والإيمان العميق بقدرة فرنسا على مد الأهالي بمبادئ الحضارة. فهل معنى هذا أن مولود فرعون لم يكن صاحب ميول وطنية؟

3- موقف مولود فرعون من الثورة التحريرية من خلال مؤلفاته المنشورة بعد 1962:

لقد راجت فنون السيرة والتراجم في الأدب العربي القديم والحديث، أما فن اليوميات فلم يعرف في البلاد العربية إلا على يد الأمير العربي "أسامة بن منقذ" في كتابه "الاعتبار"، حيث دَوّن فيه سيرته وأعماله يوماً بعد يوم إبان الحكم الأيوبي وأثناء المعارك المتجددة مع الهجمة الصليبية على المشرق العربي، فباتت تلك الحروب الصليبية سبباً أصيلاً في أن تعرف البلاد العربية هذا الفن النثري الذي لم تعرفه من قبل، وقد رصد الكاتب الأحداث يوماً بيوم فضلاً عن الآراء الشخصية مع تعقيبه ورأيه الشخصي، إلى جانب الرصد المباشر وغير المباشر للظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع في حينه. الطريف أنه بسبب الحروب راج فن اليوميات في أوروبا كما كانت الحروب سبباً في نشأتها في الدول العربية، فالمتأمل لِكَمِّ ما صدر عن المطابع هناك بعد الحرب العالمية الثانية تتأكد له هذه الحقيقة، لعل من أشهرها "يوميات جان بول سارتر" الفيلسوف الوجودي الذي شارك في معاركها، وقد تم أسرهم بمعسكرات الألمان¹⁵، وهناك العديد من اليوميات العربية المعاصرة والتي كتبت بعد المعارك الكبرى والتحريرية، تعتبر

تلك اليوميات من الوثائق التسجيلية الهامة عن تلك الفترات كما هو الحال مع يوميات الثورة الجزائرية لمولود فرعون، حيث رصد أيام الثورة يوما بيوم، اعتبارا من أول نوفمبر 1955م على الساعة 18.30 حتى 14 مارس عام 1962م، وقد جمعت في كتاب اليوميات كما سبق القول، الغريب أن يغتال الكاتب بعد ذلك التاريخ بيوم واحد. لم تكن يوميات مولود فرعون ذاتية حول صاحبها فقط، بل تُعدُّ وثيقة أمينة حول الرؤية الجماعية، وتوجُّه الثورة على الأرض الجزائرية. فقد سرد منجزاتها وإحباطاتها، وكذا حركة وانفعالات الناس اليومية، حيث باتت الثورة على المحتل الفرنسي الهمَّ اليومي للفرد العادي.

جاءت اليوميات في حوالي 350 صفحة خصصت 40 صفحة الأولى منها للحديث عن الفترة التاريخية الخاصة بشهري نوفمبر وديسمبر 1955 في منطقة تواجد ببلاد القبائل، كما قدم فيها الكاتب موقفه مما حدث خلال سنة مرت دون التفصيل الكبير في أحداثها. أما ما بقي من صفحات اليوميات أي حوالي 250 صفحة فقد مثلت سردا كرونولوجيا لأحداث الثورة من 1956 إلى جويلية 1959 أين توقف الكاتب عن سرد ما جاء بعد جويلية 1959، ولم يستأنف ذكر ما كان يحدث إلا شهر جانفي 1960 ليواصلها إلى تاريخ اغتياله في فترة طغت عليه خلالها روح التشاؤم بعد سلسلة الإلتحاقات في صفوف العدو الفرنسي التي عرفتها العديد من الدواوير بمنطقة القبائل. لقد سيطرت على مولود فرعون في هذه الفترة فكرة أن فرنسا قد انتصرت وأن حلم الإستقلال قد تبدد، لكن بعد ذلك كتب في 27 نوفمبر 1960 لقد أصبح الاستقلال بالنسبة للشعب قريب جدا¹⁶.

يبدو مولود فرعون بدون قراءة "اليوميات" ككاتب لم يقدم أي أعمال تشيد بالثورة، وترفض الوضعية الكولونيالية، إلى درجة أنه قد يبدو ككاتب مجامل للاستعمار، وراض بوضعية الأنديجان، يتمتع بمزايا العمل في الإدارة الفرنسية. هذا ما يمكن أن نستنتجه إذا قرأنا أعماله الروائية فقط، قراءة سطحية غير معمقة، ودون الإلتفات "اليوميات" التي نشرت بعد اغتياله يوم 15 مارس 1962، وكان فرعون قد قدمها لصديقه إيمانويل روبلاس، القارئ في منشورات لوسوي Le SEUIL في شهر أفريل من ذات العام كي يصححها وينقحها ثم ينشرها. وللحديث عما حوته هذه المذكرات من مواقف لمولود فرعون تجاه الثورة وشهاداته عنها اخترنا قضايا محددة وردت في ما سيفصل فيه من عناصر.

3-1- مولود فرعون والمرحلة الأولى من الثورة التحريرية (نوفمبر 1945 - ديسمبر 1955):

باندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954، لم يكن مولود فرعون قد شرع في كتابة يومياته. الأمر كان سنة بعد هذا التاريخ. مع ذلك، قدم مولود فرعون لمحة عما جرى في منطقته ببلاد القبائل بعد اندلاع الثورة بالقول: "عندما اندلعت الأحداث في 01 نوفمبر 1954، منذ سنة، لم نعظ لها أية أهمية"¹⁷. أما عن نشاط المجاهدين فكتب عنه: "لقد كنت أنا وزملائي نصف نشاط المجاهدين الذي كنا نسمع عنه بالأعمال التخريبية، والصبيانية، أما ما وصل إلى قريتنا من هذا النشاط فلم يتعد قطع خيوط الهاتف والأوراس كان بعيد عنا"¹⁸. وأردف قائلا: "لقد كان الكثير يصلنا عما كان يحدث بالقرب من قريتنا غير أن ذلك لم يكن يهمنا على الإطلاق"¹⁹. أما عن المجاهدين في حد ذاتهم فقد قال: "لقد كنا في الكثير من الأحيان نستهزأ بهم بالقول: من هم هؤلاء، إنهم لا

يعرفون شيئا سوى القول: يا امرأة، أعدي الكسرة"²⁰. وعن تطور الثورة في سنتها الأولى قال: "لقد كانت الأيام تتوالى والأسابيع كذلك دون أن يتغير في حياتنا شيء... كل ما جذب انتباهي حينها هو أنني قد شاهدت في 16 جوان في طريقي حوالي 10.000 جندي تحملهم شاحنات بزيهم الأخضر ينقلون إلى منطقة أجهلها فعرفت أننا سنعيش أياما عصيبة"²¹.

المعروف أيضا أن الثورة الجزائرية كانت قد دعت خلال السنة الأولى من عمرها وفي فترات لاحقة بعدها إلى مقاطعة الخمر والتبغ والإحتفالات الدينية، عن رد الفعل الشعبي عن ذلك بمنطقته تجاه ذلك تحدث مولود فرعون عن توقف شبه تام عن فعل ذلك بمنطقته لكن هذا لم ينف أن السواد الأعظم ممن كان يجتمع أو يدخل قد كان يقوم بذلك في الخفاء، وهو ما لم ينفه عن شخصه²². يتحدث مولود فرعون على أن عيد الأضحى الذي كان في 08 ديسمبر سنة 1955 قد مثل أسوأ عيد في حياته لأنه كان قد سافر لقضائه مع عائلته غير أن مظاهر الإحتفال به قد غابت البتة في ذلك اليوم²³.

عن موقف سكان العاصمة من دعوة جبهة التحرير الشعب للقيام بإضراب يوم 01 نوفمبر 1955 بمناسبة مرور سنة على الثورة، قال مولود فرعون: لقد كان اليوم يوما ممطرا وكانت الشوارع خالية، فاليوم يوم عطلة (ذكرى يوم الأموات) وكل العمال بمنزلهم نيام²⁴، لم يكن هناك أي أمر غير عادي²⁵.

3-2- مولود فرعون والثورة التحريرية بعد ديسمبر 1955:

مثلت فترة نهاية شهر ديسمبر 1955 طفرة نوعية في فكر مولود فرعون وموقفه من الثورة التحريرية، لأنه وبداية من هذا التاريخ، لم تعد الثورة بالنسبة لمولود فرعون مجرد أحداث يسمع عنها بل انتقلت إلى عقر داره عندما تمت عملية قتل محافظ فور ناسيونال من طرف جيش التحرير الوطني. عن ذلك قال: "كل ما كان يحدث في كل مكان تقريبا كنت أراه من بعيد عندنا، أما موت (ف) فكان هنا بقربي"²⁶. وقد كتب كذلك يوم 18 ديسمبر 1955: لقد عمل الإرهابيون قبل نوفمبر 1955 على التعريف بنفسهم إلى الشعب وقد حصلوا منه على الدعم والإعجاب دون صعوبة... لقد كانت الأدغال منظمة بصورة جعلتها تحصل سريعا على إعجاب ودعم السكان²⁷. بداية من هذا التاريخ إذا تحولت اليوميات إلى سرد كرونولوجي لحرب بين جبهة التحرير الوطني والجيش الفرنسي وشعب محاصر بينهما، وهو ما ذكره في مارس 1956.

إذا ما حاولنا تتبع مواقف مولود فرعون من كل مل كان يحدث بداية من هذه الفترة إلى تاريخ اغتياله يمكن أن نطرق ذلك من خلال ثلاث مواقف رئيسية هامة: الموقف من النظام الإستعماري، الموقف من ممارسات جيش التحرير والجيش الفرنسي، وتطور الموقف من مسألة الإستقلال.

3-2-1- مولود فرعون والنظام الإستعماري:

عبر مولود فرعون في "اليوميات" وباستمرار عن المفارقة بين القوى الظالمة الاستعمارية والشعوب الباحثة عن "الدروب الوعة" في التاريخ كي تفك قيد الذل المسلط عليها. إن النصوص التي كتبها سنة 1955 تبدي نوعا من

الليونة مع النظام الكولونيالي، رغم أنه يستنكر بعض من ممارساته. لقد كتب ما يلي: "لقد بدأت الحرب بين شعبين مختلفين"²⁸، وكتب يصف الطبيعة الاستعمارية يقول: "إن مظاهر طبيعتهم نحونا ليست سوى مظاهر كراهيتهم لنا... لكن كراهيتهم هذه كانت ذكية لدرجة أننا لم نفهم. لقد أخذناها على أنها طيبة فأصبحوا هم الطيبين ونحن السيئين، هم المتحضرون ونحن البرابرة، هم المؤمنون ونحن الكفرة، هم السادة ونحن السفلة، هذا ما نجحوا في إدخاله في اعتقادنا... ولذلك لم يتوانى المستعمر في استعمال أي وسيلة لفرض هيمنته... إذ كل الناس عندنا مشكوك في نواياهم، ومن أجل هذا لا بد أن يحنوا ظهورهم كي يتلقوا لسعات السياط الملهبة..."²⁹ وعلق بكل سخرية موجهة كلماته للرئيس الفرنسي جي موليه Guy MOLLET آنذاك: "ربما يكون في استطاعتنا أن نذكر جي موليه بأن الجزائريين الذين لا يزالون جهلة لدرجة اتهامهم بالتعصب قد ظلوا يحتفظون بذكرى القيم... إن هناك عقدا يربطنا بشعبنا الأبوي المكافح المناضل، ونحن لسانه الناطق، نلتفت إليه أولا لتلمس بنياته وتكوينه الخاص، ثم نلتفت إلى العالم لنشهد على هذه الخصائص"³⁰.

كما كتب في أوت 1956 عقب العدوان الثلاثي على مصر، وقرار الرئيس المصري جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، أن العامل المصري هو من بنى القناة وليس دي ليسيس³¹ مستكملا انتقاده للنظام الكولونيالي. وكتب في أوت 1961 أن فرنسا لم تترك للجزائريين أي خيار غير العنف، ووصف الاستعمار بـ "قرن من الأناثية"³².

3-2-2- مولود فرعون وممارسات جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي:

انتقد مولود فرعون في يومياته ممارسات الطرفين أي جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي على حد سواء، ووقف إلى جانب الأهالي. لقد كتب يقول: "إنه شيء رهيب... الجيش الفرنسي يتصرف بدون رحمة والأمر مقبول وعادي، والفلافة كذلك يتصرفون بدون رحمة والأمر مقبول تقريبا وعادي"³³. وعن وضع الأهالي، يمكننا الإستدلال بحديثه عن نتائج معركة الجزائر نهاية جويلية 1957 على السكان حينما كتب يقول: لقد لاحظت فتور همه عدد كبير من أبناء بلدي. وأن العدد الأكبر من هؤلاء كانت تبدو على وجوههم وتحدد تصرفاتهم عبارة: ماذا ربنا من هذا النهوض؟ دون أن يتم التلفظ بها. وأمام هذا الأمر أرى أنه لا بد من أن لا ندفع كثيرا هؤلاء الجزائريين الغير منتصرين نحو إرتكاب العديد من الدنئات والتجاوزات، لأنه إذا كانت هذه هي التهدة الفرنسية فالأكيد أنها في ظل هذه الظروف ستحقق هدفها³⁴. ثم أضاف: "إنه الإعياء الذي يجعلهم يبادلون الأوروبيين الإبتسامات، لكنها إبتسامات المهزوم تجاه المنتصر"³⁵، وقال في أبريل 1958: "الجنود يعبئون النساء والجيش الفرنسي يوقفهن ويعذبهن"³⁶. وكتب في 14 مارس 1960: "في العاصمة إنه الإرهاب، الناس يمشون مع ذلك والذين يذهبون لقوت يومهم مجبرون على الخروج ويخرجون دون أن يعرفوا إن كانوا سيعودون أم يسقطوا في الشارع. لا أريد أن أموت ولا أريد أن يموت أولادي... ولكن في كل مرة يخرج واحد منا يصف عند عودته عملا إجراميا أو يشير إلى ضحية"³⁷.

الأكد أنه يجب أن لا ننسى أن فرعون الذي ظل يمثت العنف، أكر على التخلي عن منصبه كمستشار بلدي بأمر من جبهة التحرير الوطني التي ظل يدفع لها اشتراكاته مثل كل الجزائريين، لكنه كان صاحب رأي مغاير بخصوص المستوطنين.

3-2-3- التطور نحو الإيمان باستقلال الجزائر:

صحيح أن فرعون كان متحفزا من جبهة التحرير الوطني، لكن هذا لم يمنعه من التطور نحو الإيمان باستقلال الجزائر. ففي فيفري 1956 كتب لأبير كامى رسالة جاء فيها "هذا البلد اسمه الجزائر وسكانه جزائريون، قل للفرنسيين إن هذا البلد ليس لهم"³⁸. وقد أصبح يؤمن بأن الحصول على الإستقلال هو الحل لحالة الحرب فقال: "لا أحد يريد أن يخون الموتى والموتى قد ماتوا لأجل الإستقلال"³⁹.

فكرة الاستقلال التي كان يؤمن بها كانت قائمة على قبول الجميع، العرب والبربر والمستوطنين، ولقد تطور نحو نقطة قبول الاستقلال لكن دون معاداة فرنسا. بخصوص موقفه من المستوطنين، كان مولود فرعون قريبا إلى حد بعيد من ألبير كامى، واعتبر الاستقلال كخطوة لتحقيق التعايش بين مختلف الجنسيات، فكان يقول عن صديقه إيمانويل روبليس "إنه جزائري غير مسلم"⁴⁰، وقال عن كامى "إنه أكثر جزائرية منى"⁴¹، وهذا ما سيعبر عنه فعليا عندما ينظم إلى المراكز الاجتماعية التي أنشأها الحاكم العام جاك سوستيل سنة 1955 اعتقادا منه أن تحقيق اندماج الأهالي في المنظومة الاستعمارية أمر ممكن، على خلاف المعمرين الكبار وجنرالات الجيش الفرنسي الذين اعتبروا هذه المراكز بمثابة وسيلة لتحقيق التعاون بين مختلف الإثنيات، وهو أمر مرفوض في تصور منظومة استعمارية قامت على العنصرية، ولهذا السبب تقريبا قررت منظمة الجيش السري الإرهابية اغتيال مولود فرعون رفقة خمسة من رفاقه يوم 15 مارس 1962 باعتبارهم أعضاء فاعلين في هذه المراكز.

فكرة الإستقلال التي آمن بها مولود فرعون يمكن أن نستشف فحواها أيضا من روايته "مدينة الورود" التي نشرها أبناءه منذ بضعة سنوات. إن رواية "مدينة الورود" تعد بالفعل طفرة مغايرة في إبداع فرعون، ففيها يدرك نهائيا أن فرنسا الجمهورية التي اعتقد في مبادئها وقيمها لا يمكن أن تستجيب لتطلعاته. واعتبر أن الاستقلال هو الخلاص النهائي. فكيف وصل به الأمر إلى هذا الاستنتاج؟ لا يمكن أن نعثر على إجابات إلا بالعودة إلى اليوميات، فهذه الأخيرة هي التي تمكننا من فهم الرواية.

تبدو رواية "مدينة الورود" في البداية كقصة حب بين مدير مدرسة جزائري، ومدرسة فرنسية جاءت إلى الجزائر أثناء الثورة التحريرية، لكنها - أي الرواية - سرعان ما تتحول إلى وثيقة أدبية مهمة في مسار العلاقات الجزائرية - الفرنسية، وبالضبط في ما يتعلق بتطور العقلية والعلاقة بالثورة. وتؤكد الرواية مرة أخرى أن مولود فرعون ليس ذلك الكاتب السلبي في ما يتعلق بالاستعمار من منطلق أن أعماله السابقة لا تتطرق للهيمنة الاستعمارية.

تدور أحداث الرواية بين سنتي 1958 و1960 بالجزائر العاصمة خلال الثورة التحريرية، وتتمحور حول شخصيتين رئيسيتين هما مدير المدرسة الجزائري القادم من الريف فرارا من الحرب، ومدرسة فرنسية. يبدو مدير المدرسة الجزائري كشخص مسلم يرفض العنف سواء كان عنف جيش التحرير الوطني أو عنف الجنود الفرنسيين، وفي المدينة

يعين كمدير مدرسة في حي شعبي يعيش فيه الأهالي ويتعرف على مدرسة فرنسية قدمت من شمال فرنسا، ويقع في حبها، رغم أنه متزوج، وهي كذلك، فالعلاقة إذن تبدو منذ الوهلة الأولى كعلاقة غير شرعية ومستحيلة. لكن فرانسواز وهو اسم المدرسة، سرعان ما تميل لمدرس فرنسي يدعى "أم جي" وهو شخصية سلبية من المستوطنين، وهو عنصري يكره العرب، ولا يؤمن بفضيلة الحب بقدر ما يلهث وراء النساء طمعا في أشياء عابرة. وبالفعل تمكن "أم جي" من جذب فرانسواز إليه، وبقي مدير المدرسة حزينا، وجرى ذلك بعد أحداث 13 ماي التي عرفت مظاهرات عارمة في شوارع الجزائر العاصمة شارك فيها دعاة الجزائر فرنسية.

طبعاً، يتضح منذ البداية أن فرعون يريد أن يتحدث عن علاقته بفرنسا - أو فرانسواز - التي أحبها كثيراً، لكنها مالت بعد فترة 13 ماي لـ "أم جي" الذي يعبر عن أطروحات المستوطنين. لقد عرفت فترة 13 ماي 1958 تظاهرات عارمة في شوارع الجزائر العاصمة شارك فيها دعاة الجزائر فرنسية، وانطلقت عقب الرغبة التي أبدتها الحكومة الفرنسية للتفاوض مع جبهة التحرير الوطني. طبعاً أفضت أحداث 13 ماي إلى إنشاء لجنة الخلاص الشعبي التي تزعمها الجنرال ماسو MASSU، والتي أدت إلى سقوط الجمهورية الرابعة وعودة الجنرال شارل ديغول Charles-DE-GAULLE إلى الحكم على رأس الجمهورية الخامسة. ونفهم من خلال الرواية أن علاقة الحب كانت من طرف واحد، أي من طرف الجزائري، في حين فضلت فرانسواز الصداقة بدل الحب. وفي النهاية تقرر فرانسواز العودة إلى باريس بعد أن اشتدت العمليات الفدائية في العاصمة.

خاتمة:

من خلال ما سبق توصلنا الى النتائج التالية:

- مولود فرعون شخصية أدبية جزائرية معروفة ولد ببلاد القبائل وتلقى تعليمه الاول هناك ثم بالعاصمة الجزائر. اشتغل بعدها مدرسا بمنطقة ولادته وكتب روايته الاولى "نجل الفقير" عام 1950.
- لمولود فرعون مؤلفات عديدة من بينها: "الأرض والدم" سنة 1953، ورواية "أيام في بلاد القبائل" سنة 1954، ورواية "الدروب الوعرة" سنة 1957، "قصائد سي محمد" سنة 1960، في حين تم إصدار مؤلفات بعد وفاته وهي "اليوميات" 1955-1962 الصادرة في 1962 و"رسائل لأصدقائه" الصادرة سنة 1969 و"عيد الميلاد" الصادرة سنة 1972 و"مدينة الورود" الصادرة سنة 2007. ما ميز الإنتاجات الأولى لمولود فرعون هو أنه قد كان أقل ميلاً للنقد مقارنة بكل من محمد ديب وكاتب ياسين.
- اغتيل مولود فرعون في 15 مارس 1962 عشية وقف اطلاق النار على يد منظمة الجيش السري. بعد اغتياله، تحدثت وسائل الإعلام الفرنسية عن رحيل "صديق فرنسا"، وعلى أنه نموذج "للاندماجي المثالي والناجح".
- بعد وفاته، نشر له كتاب "اليوميات" الذي حوى بصورة صريحة واضحة موقف مولود فرعون من الثورة التحريرية. قبل نشر هذا الكتاب، كانت لمولود فرعون مؤلفات أشارت لوضعية الشعب الجزائري في ظل الإستعمار الفرنسي، للمجتمع الجزائري العميق في ظل الوضعية الإستعمارية ولمقاومته لكل ما هو دخيل عليه.

- حوت "اليوميات" سرد لبعض أحداث الثورة التحريرية بمنطقة القبائل من نهاية 1955 إلى 14 مارس 1962 بصورة متقطعة كرونولوجيا، وإبداء لرأيه بعدد من القضايا التي ظهرت حينها.
- بخصوص أحداث الثورة التحريرية، ركز مولود فرعون على ممارسات جيش التحرير والجيش الفرنسي. وقد بدى واضحا مقتته للعنف الذي مورس على الأهالي من الطرفين. تأييده للثورة الجزائرية وليس لممارسات جيش التحرير بدى واضحا من خلال موقفه منها، وهو الموقف الذي جعله يتخلى عن منصبه كمستشار بلدي بأمر من جبهة التحرير الوطني التي ظل يدفع لها اشتراكاته مثل كل الجزائريين. وهو موقف وطني يفند ما انتشر عنه.
- أمن مولود فرعون بجزائر مستقلة تضم كل من كان عليها من عرب وبربر وأوربيين، جزائر يتحقق فيها التعايش بين كل الجنسيات وهو ما يمكننا أن نستشفه من انضمامه الى المراكز الإجتماعية التربوية وابقائه على علاقاته بشخصيات فرنسية.
- تبقى هذه الدراسة دراسة حاولنا من خلالها الوقوف عند موقف مولود فرعون من أهم القضايا التي استشفيناها من خلال قراءة يومياته. أما القول بدراسة كرونولوجية للأحداث فتبدو صعبة في ظل تقطع الأحداث ودراسة مواضيع متشعبة كانت زيدة ما ورد منها ما جاء في الحثيات. أما الدراسة الفنية الأدبية للرواية فقد تركناها لأهل الاختصاص عليهم يضيفون للدراسة الشيء الجديد.

المصادر والمراجع:

- بن صالح، نوال، (2013)، "استشراق القطيعة في أدب مولود فرعون: نموذج الارض والدم"، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، كلية الآداب، العدد التاسع.
- نجم، سيد، "فن اليوميات انتشر بفضل الحرب"، جريدة الخبر،
http://www.elkhabar.com/quotidien/lire. ... 820&idc=32
-ACHOUR Christiane, Anthologie de la littérature algérienne, Paris, Bordas, 1990.
-FERAOUN Mouloud, **Journal 1955-1962**, Paris, Editions du Seuil, 1962.
-THENAULT Sylvie, «Un écrivain dans la guerre d'Algérie», in *Vingtième Siècle*, n°63, juillet-septembre 1999.
(http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/xxs_0294-759_1999_num_63_1_3854)

الهوامش والإحاث:

- ¹ - Sylvie Thénault, « Un écrivain dans la guerre d'Algérie », in *Vingtième Siècle*, n°63, juillet-septembre 1999, pp.65-74. (http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/xxs_0294-1759_1999_num_63_1_3854)
- ² - Ibid, p.66.
- ³ - نوال بن صالح، "استشراق القطيعة في أدب مولود فرعون: نموذج الارض والدم"، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، كلية الآداب، العدد التاسع، 2013، ص.396.
- ⁴ - Sylvie THENAULT, Op.cit, p.67.
- ⁵ - نوال بن صالح، مرجع سابق، ص.396.
- ⁶ - Sylvie THENAULT, Op.cit, p.67.
- ⁷ - Ibid, p.68.
- ⁸ - Mouloud FERAOUN, **Journal 1955-1962**, Paris, Editions du Seuil, 1962, p.07.

⁹-Sylvie THENAULT, Op. Cit, p.68

¹⁰ -Christiane ACHOUR, Anthologie de la littérature algérienne, Paris, Bordas, 1990, p 45.

¹¹- Ibid,p.46

¹²- Ibid,p.48

¹³- Ibid,p.49

¹⁴- Ibid,p.50

¹⁵-سيد نجم، "فن اليوميات انتشر بفضل الحرب"، جريدة الخير، 2003.

<http://www.elkhabar.com/quotidien/lire. ... 820&idc=32>

¹⁶-Mouloud FERAOUN، Op.cit, pp.303-304.

¹⁷-Ibid,p.13.

¹⁸-Ibid.p.14

¹⁹-Ibid.p.15

²⁰-Ibid,p.13

²¹-Ibid.p. 15

²²-Ibid.p.16

²³-Ibid.p. 24

²⁴-Ibid, p.11.

²⁵-Ibid, p.26.

²⁶-Ibid.p. 28

²⁷- Ibid, pp.35, 52.

²⁸- Ibid,p.142

²⁹- Ibid,p.139

³⁰- Ibid,p.140

³¹-Ibid.p. 145

³²-Ibid.p. 326

³³- Ibid.p.88

³⁴-Ibid, p.241.

³⁵-Ibid.p. 244

³⁶-Ibid.p. 269

³⁷- Ibid,p.342

³⁸-Ibid.p. 76

³⁹-Ibid.p.171

⁴⁰-Ibid.p. 131

⁴¹-Ibid.p.205